السفهاء في الدنيا كثير!

بسم الله والحمد والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وأصحابه ومن اتّبع هداه، أما بعد، فقد قلت في كتابي "التفجيرات من منهج الخوارج والبغاة وليست من منهج السلف الصالح" (ص٨٦/الإبرازة الثانية): "فهلاَّ اتعظتم بهذه الواقعة التي قتل فيها الأفاضل بسبب هذه الغوغائية في التعامل مع الحكَّام؛ أم تريدون يوم حرَّة آخر بمصر؛ أو لم يكفكم ما فعلتم بشباب مصر من قبل وإلى الآن!!".

قلت: فقام سفيه متعالم باصطياد هذه العبارة بعد أن ظلَّ برهة من الزمن يبحث بالمنقاش عن أي زلَّة لي؛ كي يشنِّع بها؛ شفاء لما ملأ قلبه من الغيظ والحقد والحسد على مَن دكَّ حصون الصعافقة، وكشف عوارهم، حتى صاروا كالجيفة التي لا يقربها إلا مَن جهِل حالهم أو فَقَد عقله أو كان مضطرًا أو كان خائنًا!

وهذا السفيه صيَّر نفسه الأمين المنافح عن الصعافقة الخائنين –وهو منهم– تحت ستار الدفاع عن العلماء وطلبتهم، وصدق مَالِكُ بْنُ دِينَار في قوله: " كَفَى بِالْمَرْءِ خِيَانَةً أَنْ يَكُونَ أَمِينًا لِلْخَوَنَةِ".

وأنا أتقرب إلى الله عز وجل بالتحذير من هؤلاء الخونة المتسترين بالعلماء، وأعتبره من أفضل أعمالي في هذه الأيام والليالي المباركة في العشر الأواخر من رمضان، على خلاف ما يظنُّ الجهلة المتعالمون.

وقد نقلت قبل هذا الموضع –المشار إليه آنفًا– كلام الحافظ في الفتح (٦٥١/٨) في بيان وقعة الحرَّة حيث قال: "كانت وقعة الحرَّة في سنة ثلاث وستين وسببها أن أهل المدينة خلعوا بيعة يزيد بن معاوية لما بلغهم ما يتعمده من الفساد فأمَّر الأنصار عليهم عبد الله بن حنظلة بن أبي عامر وأمَّر المهاجرون عليهم عبدالله بن مطيع العدوي، وأرسل إليهم يزيد بن معاوية مسلم بن عقبة المري في جيش كثير فهزمهم واستباحوا المدينة وقتلوا ابن حنظلة وقتل من الأنصار شيء كثير جدًّا، وكان أنس يومئذ بالبصرة فبلغه ذلك فحزن على من أصيب من الأنصار فكتب إليه زيد بن أرقم، وكان يومئذ بالكوفة يسليه ومحصِّل ذلك أن الذي يصير إلى مغفرة الله لا يشتد الحزن عليه، فكان ذلك تعزية لأنس".

وقال ابن جرير في تاريخه (٤٨٧/٥): "وَقَدْ كَانَ أهل الْمَدِينَة اتخذوا خندقًا فِي جانب الْمَدِينَة، ونزله جمع مِنْهُمْ عظيم، وَكَانَ عَلَيْهِم عبدالرَّحْمَن بن زهير بن عبد عوف ابن عم عبدالرحمن ابن عوف الزُّهْرِيّ، وَكَانَ عَبْداللَّهِ بن مطيع عَلَى ربع آخر فِي جانب الْمَدِينَة، وَكَانَ معقل بن سنان الأشجعي عَلَى ربع آخر فِي جانب الْمَدِينَة، وَكَانَ أَمِير جماعتهم عَبْداللَّهِ بن حنظلة الغسيل الأَنْصَارِيّ، فِي أعظم تِلْكَ الأرباع وأكثرها عددًا.

قَالَ هِشَام: وأما عوانة بن الحكم الكلبي، فذكر أن عَبْداللَّهِ بن مطيع كَانَ عَلَى قريش من أهل الْمَدِينَة، وعبداللَّه بن حنظلة الغسيل عَلَى الأنصار، ومعقل بن سنان عَلَى الْمُهَاجِرِينَ".اهـ

قلت: هذه الفتنة لم تكن –كما هو ظاهر– بين أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، إنما كانت بين يزيد بن أبي معاوية –ولم يكن معه أحدٌ من الصحابة–، وبين أهل المدينة الذي كان فيهم بعض الصحابة وأولاد الصحابة والتابعون.

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بن تميم التميمي الإفريقي، أبو العرب (ت ٣٣٣هـ) في المحن (ص٣١٥): "كَانَ هَذَا لَمَّا دَخَلَ الْفَاسِقُ مُسْلِمُ بْنُ عُقْبَةَ الْمَدِينَةَ فِي وَقْعَةِ الْحَرَّةِ وَقَتَلَ جَمَاعَةً مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَذَلِكَ فِي خِلافَةِ يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ".

قلت: والذين تزعموا الخروج –كما في النقولات السابقة– ليسوا من الصحابة باتفاق!

بل إن أكابر فقهاء الصحابة الأحياء لم يقروا هذا الخروج على يزيد، وأنكروه أشد الإنكار، كما قال محمد بن عبد الله الشبلي (ت ٧٦٩هـ) في "آكام المرجان في أحكام الجان" (ص٢٠٣): "وَكَانَ سَببهَا أَن أهل الْمَدِينَة خلعوا يزِيد بن مُعَاوِيَة وأخرجوا مَرْوَان بن الحكم وَبني أُميَّة وَأمرُوا عَلَيْهِم عبد الله بن حَنْظَلَة الغسيل وَلم يُوَافق أهل الْمَدِينَة أحد من أكَابِر أَصْحَاب رَسُول الله صلى الله عَلَيْهِ وَسلم الَّذين كَانُوا فيهم".

ونقله أحمد بن عيسى في "توضيح المقاصد" (٤/٣).

وكان أشدّهم إنكارًا: عبدالله بن عمر رضي الله عنهما، كما أخرج أحمد في مسنده (٥٢٠/٩/الرسالة) بسند صحيح عن نافع: أن ابن عمر رضي الله عنهما جمع بنيه حين انتزى أهل المدينة مع ابن الزبير وخلعوا يزيد بن معاوية، فقال: إنا قد بايعنا هذا الرجل ببيع الله ورسوله، وإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «الغادر ينصب له لواء يوم

القيامة، فيقال: هذه غدرة فلان»، وإن من أعظم الغدر -إلا أن يكون الإشراك بالله تعالى - أن يبايع الرجل رجلاً على بيع الله ورسوله ثم ينكث بيعته، فلا يخلعنَّ أحد منكم يزيد، ولا يشرفنَّ أحد منكم في هذا الأمر؛ فيكون صيلمًا فيما بيني وبينكم.

بل حذَّر رسول الله صلى الله عليه وسلم -في إشارة منه- من المشاركة في وقعة الحرّة:

أخرج ابن ماجه (٣٩٥٨) من حديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الصَّامِتِ، عَنْ أَبِي ذَرٍّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كَيْفَ أَنْتَ يَا أَبَا ذَرٍّ وَمَوْتًا يُصِيبُ النَّاسَ حَتَّى يُقَوَّمَ الْبَيْتُ بِالْوَصِيفِ؟» - يَعْنِي الْقَبْرَ - قُلْتُ: مَا خَارَ اللَّهُ لِي وَرَسُولُهُ - أَوْ قَالَ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ - قَالَ: «تَصَبَّرْ» قَالَ: «كَيْفَ أَنْتَ، وَجُوعًا يُصِيبُ النَّاسَ، حَتَّى تَأْتِيَ مَسْجِدَكَ فَلَا تَسْتَطِيعَ أَنْ تَرْجِعَ إِلَى فِرَاشِكَ، وَلَا تَسْتَطِيعَ أَنْ تَقُومَ مِنْ فِرَاشِكَ إِلَى مَسْجِدِكَ؟» قَالَ: قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ - أَوْ مَا خَارَ اللَّهُ لِي وَرَسُولُهُ - قَالَ: «عَلَيْكَ بِالْعِفَّةِ» ثُمَّ قَالَ: «كَيْفَ أَنْتَ، وَقَتْلًا يُصِيبُ النَّاسَ حَتَّى تُغْرَقَ حِجَارَةُ الزَّيْتِ بِالدَّمِ؟» قُلْتُ: مَا خَارَ اللَّهُ لِي وَرَسُولُهُ، قَالَ: «الْحَقْ بِمَنْ أَنْتَ مِنْهُ»، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَفَلَا آخُذُ بِسَيْفِي، فَأَضْرِبَ بِهِ مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ، قَالَ: «شَارَكْتَ الْقَوْمَ إِذن، وَلَكِنِ ادْخُلْ بَيْتَكَ» قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ فَإِنْ دُخِلَ بَيْتِي؟ قَالَ: «إِنْ خَشِيتَ أَنْ يَبْهَرَكَ شُعَاعُ السَّيْفِ، فَأَلْقِ طَرَفَ رِدَائِكَ عَلَى وَجْهِكَ، فَيَبُوءَ بِإِثْمِهِ وَإِثْمِكَ، فَيَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ».

قال محمد عبدالغني المجدِّدي في "إنجاح الحاجة" (ص٣٨٤): "قَوْله حَتَّى تغرق حِجَارَة الزَّيْت بِالدَّمِ حِجَارَة الزَّيْت اسْم مَوضِع بِالْمَدِينَةِ، وَلَعَلَّ هَذَا إِشَارَة الى وقْعَة الْحرَّة حِين نقضَ أهل الْمَدِينَة بيعَة يزِيد وَبعث عسكرًا عَظِيمًا فَلَمَّا توجه عسكره إِلَى مَكَّة مَاتَ هُوَ بِالشَّام".

وعن ابن عباس رضي الله عنهما؛ قال: "جاء تأويل هذه الآية على رأس ستين سنة: {وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِمْ مِنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ لَآتَوْهَا؛ قال: لأعطوها (يعني: إدخال بني حارثة أهل الشام على أهل المدينة في وقعة الحرة".

قال ابن كثير وابن حجر: "إسناده صحيح إلى ابن عباس رضي الله عنهما ".

وقال ابن كثير: "وتفسير الصحابي في حكم المرفوع عند كثير من العلماء".

وقولي: " فهلاَّ اتعظتم بهذه الواقعة التي قتل فيها الأفاضل بسبب هذه الغوغائية في التعامل مع الحكَّام"، لا يتنزل على الصحابة –بلا أدنى شك-، فما طرأ في ذهني فضلاً أن أعتقده

أن الصحابة يوصفون بالغوغائية –حاشا لله–، بل كلامي يتنزل على مَن باشر الخروج ممن هم ليسوا من الصحابة، ووصفي يتعلق بالخروج الذي تعتبر الغوغائية سمة لازمة له.
فقد كان قولي من جنس قول العلامة عبدالرحمن بن يحيى المعلَّمي في "التنكيل لما ورد في تأنيب الكوثري من الأباطيل" (١/١٩٩): "وقد جرَّب المسلمون الخروج فلم يروا منه إلا الشرَّ، خرج الناس على عثمان يرون أنهم يريدون الحق، ثم خرج أهل الجمل يرى رؤساءهم ومعظمهم أنهم إنما يطلبون الحق فكانت ثمرة ذلك بعد اللتيا واللتي أن انقطعت خلافة النبوة، وتأسست دولة بنى أمية، ثم اضطر الحسين بن على إلى ما اضطر إليه فكانت تلك المأساة، ثم خرج أهل المدينة فكانت وقعة الحرَّة..".

قلت: ورغم ذلك فترك هذا اللفظ في هذا السياق هو المتعيِّن؛ كي لا يوهم طعنًا في الصحابة، ممن قد يكون موجودًا في المدينة زمن وقعة الحرَّة.

وكما قلت من قبل لهؤلاء القوم البهت: اجتهدوا في البحث بالمنقاش عن أخطاء أبي عبدالأعلى في مؤلّفاته ومحاضرات وخطبه، وسوف تجدون بلا شك أخطاء، لكن ليس الإشكال في وجود الأخطاء، إنما الإشكال في فساد النية وسوء الطوية في استخراج هذه الأخطاء؛ حيث إن الصعافقة وأذنابهم المجاهيل لا يفعلون ذلك حسبة لله ونصحًا للمسلمين، إنما يفعلون ذلك حسدًا منهم وتشفيًا وانتقامًا؛ فهنيئًا لهم بفساد النية وسوء الطوية!

وأبشرهم أني راجع عن أي خطأ –علمته أم لم أعلمه–، وأستغفر الله وأتوب إليه من أخطائي وخطاياي.

ولن أجاري أبدًا –إن شاء الله– سفاهة السفهاء الذي يعيشون في حضيض وسفل عميق، كما قال العلامة أحمد بن محمد بن شاكر –رحمه الله– كما في "مجموع المقالات" (١/٥٩٧): "وليعلَم كلَّ مَن لا يعلَم، أن السفهاء في الدنيا كثير، فإذا كان يغضب لكلِّ

سفاهة من سفيه، فإن شقاءه سيطول بغضبه، فدع السفهاء وليقولوا ما شاءوا، وكن أنت ضنينًا بكرامتك، فإنها أعزُّ وأغلى من أن تبذَل على الألسنة...".

قلت: وأبشركم أن سنة الله سبحانه ماضية في هؤلاء السفهاء، فلن تمر برهة يسيرة إلا ويكونون في مطاوي الزمان وطي النسيان في مزبلة تاريخية عظيمة حوت الآلاف من أشكالهم وأنواعهم {وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا}.

وصلى الله على محمد وعلى آله وأصحابه وسلّم.

وكتب

أبو عبدالأعلى خالد بن محمد بن عثمان

ظهر الخميس ٢٥ رمضان ١٤٤٠